حِفْظُ الله تعالىٰ هذا القرآنَ الكريمَ

بعد تبليغه صلى الله عليه وآله وسلم

وإبقاؤه مَصوناً محفوظاً إلىٰ يوم الدين

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب
(هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان)
من الصفحة ٢١٢ حتى الصفحة ٢٣٤

للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني
بناءً على توجيهات ولده
المهندس الشيخ
محمد محيي الدين سراج الدين
رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM
قسم: كتب الإمام
تحميل كتب الإمام وتحميل أبحاث مختارة

مدير الموقع:
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

حِفْظُ الله تعالىٰ هَذا القرآن الكريم بَعْدَ تَبْلِيْغِهِ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وإبْقاؤه مَصُوْناً مَحْفُوْظاً إلىٰ يوم الدين

واستلزام ذلك ثلاثة أمور:

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

ففي هذه الآية الكريمة يُعلِن الله تعالىٰ كفالتَه بحفظ القرآن الكريم بعد تنزيله له، ويشير سبحانه في هذه الآية الكريمة إلىٰ تخصيص هذا القرآن الكريم بهذه الفضيلة الكبرىٰ، والخاصَّة العظمىٰ، ألا وَهِي كَفَالَتُه بنفسه سبحانه أن يحفظ هذا القرآن الكريم، فيقول سبحانه: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ﴾ أي: لهذا القرآن الكريم دون غيره من الكتب السماوية ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾.

وهذا الحفظ يشتمل علىٰ ثلاثة أمور هامَّة تدخل تحت هذه الكفالة:

الأول: حفظ حروفه وكلماته كاملةً بنصوصها النازلة علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

الثاني: حفظ بيان هذا القرآن الكريم، وهو الحديث النبويّ الشريف.

الثالث: حفظ وإبقاءُ مَنْ يحمل ذلك، ويبلِّغه حتىٰ يأتي أمر الله تعالىٰ ـ أي: أمر القيامة ـ.

وإليك تفاصيل ذلك مع الأدِلَّة بعون الله تعالىٰ:

الأمر الأول: لقد تكفل سبحانه بحفظ نصوص القرآن الكريم المشتملة علىٰ حروفه وكلماته كلها، بحيث لا يضيع من ذلك شيء.

فأمر الله تعالىٰ رسوله الكريم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلم أَن يتلو هذا القرآن علىٰ الناس فور نزوله، وبعد نزوله، وفي كلِّ مناسبة ومحفل، ومجتمع، وموسم، لِيُحفظ هذا القرآن في الصدور، وليكتب في السطور.

قال تعالىٰ: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ الآية.

فكان من أهمِّ مواقفه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مع العالَم أن يتلو عليهم القرآن.

وفي هذا إبلاغ لهم، ودعوة لهم، وحفظ لهذا القرآن في صدورهم، وحفظ له في سطورهم، فتكون محافظ القرآن أوَّلاً هي الصدور، كما قال تعالىٰ: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ﴾، وثانياً هي السطور: كما قال تعالىٰ: ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾.

ومِن ثَمَّ كان صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يأمر بكتابة القرآن الكريم

فورَ نزوله ، وقد اتخذ كُتَّاباً للوحي القرآني؛ أمناء أوفياء ، هو اختارهم لذلك صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، منهم الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم ، ومعاوية ، وأبان بن سعد ، وخالد بن الوليد ، وأبيُّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وحنظلة بن الربيع ، وغيرهم رضي الله عنهم ، فكانوا يكتبون القرآن الكريم فورَ نزوله علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، بإتقانٍ ، وإحكامٍ ، واستيعاب كامل ، بحيث لا يضيعون منه حرفاً ولا كلمةً ، كما روىٰ البخاري وغيره ، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه ، أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أملىٰ عليه: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ، فجاء ابن أم مكتوم رضي الله عنه وهو صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يمليها عليَّ ، فقال: يا رسول الله والله لو أستطيع الجهاد معك لجاهدت ـ وكان أعمىٰ ـ.

فأنزل الله تعالىٰ علىٰ رسوله ، وفخذه علىٰ فخذي ، فثقلت عليَّ حتى خِفْتُ أَنْ تُرضَّ فخذي ، ثم سُرِّي عنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأنزل الله تعالىٰ: ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ .

أي: فكتبها كما ورد في رواية أحمد وأبي داود ، فقال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لزيد: «اكتب: ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾» .

قال زيد: أنزلها الله تعالىٰ وحدها فألحقتها بها ، فوالله لكأني أنظر إلىٰ ملحقها عند صدع كان في الكتف.

قال ابن التين: يقال: إن جبريل عليه السلام هبط ورجع قَبْل أن يَجِفَّ القلم ـ أي: قلم زيد ـ. اهـ وقد تقدَّم بيان هذا.

ومِن هنا يفهم العاقل شدة عناية الصحابة ، واهتمامهم بكتابة القرآن الكريم ، وأنهم لم يُضيعوا منه كلمة ولا حرفاً.

بل كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُرَغِّبُ عامَّة من يحسن الكتابة من الصحابة أن يكتبوا عنه القرآن ، ولكن في أوَّل الأمر قَصَرَهُم علىٰ كتابة القرآن الكريم دون كتابة الحديث ، ثم بعد ذلك أمرهم بكتابة الحديث .

فقد روىٰ مسلم وغيره ، عن أبي سعيد رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «لا تكتبوا عني غيرَ القرآن ، فمن كتب عني غير القرآن فَلْيَمحُه».

وكان هذا في أوَّل الأمر ، اهتماماً بتثبيت القرآن في صحفهم ، فيكتبونه ويحفظونه ويتدارسونه ، ويعلِّمونه أهليهم وأولادهم وذويهم ، فتكون هممهم متوجهةً إلىٰ هَدَفٍ واحدٍ ، مخافة التشتت ، سِيَّما وهم حديثو عهد بالإيمان والقرآن ، فكانوا إذ ذاك يحفظون أحاديثه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم متقناً عن ظهر قلب .

ثم أذن لهم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم في كتابة الحديث فوق الحفظ . كما سيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله تعالىٰ .

وأمَّا حفظ القرآن الكريم في الصدور فهو الأصل المعوَّل عليه ، وهو الشرف الأكبر الذي شرَّف الله تعالىٰ به هذه الأمة المحمدية عليه الصلاة والسلام ، فجعل صدورها مصاحف لآيات هذا القرآن الكريم ، وأوعيةً لكلامه القديم ، يقرؤونه عن ظهر قلب ، ولا يغسله من قلوبهم تيَّار الماء ، ولا يمحوه من صدورهم كيد الأعداء .

روىٰ مسلم في (صحيحه) عن عياض رضي الله عنه ، أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «إنَّ ربي أمرني أن أعلِّمكم ما جهلتُم ممَّا علَّمني يومي هذا: كلُّ مالٍ نحلتُه عبداً ـ أي: أعطيته عبداً ـ

حلالٌ ـ فلا يجوز أن يُحرِّمه علىٰ نفسه ، مادام اكتسبه من طريق حلال ـ.

وإني خلقتُ عبادي حنفاء كلَّهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرَّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم ، وأَمَرَتْهم أن يشركوا بي ما لم أُنزِّل بِهِ سلطاناً.

وإن الله تعالىٰ نظر إلىٰ أَهل الأرض فمَقَتهم: عربَهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب» ـ أي: إلا الذين تَمسَّكوا بالكتاب فهم سعداء ـ.

قال: «وقال الله تعالىٰ لي: إنما بعثتك لأَبْتَلِيك وأبتليَ بك ، وأنزلتُ عليك كتاباً لا يغسله الماء ، تقرأه نائماً ويقظان» الحديث.

فلو غُسلت جميع مصاحف السطور، فإن القرآن الكريم لا يُمحىٰ من الأرض لأنه محفوظ في الصدور التي لا يغسلها الماء.

وفي الحديث الذي رواه أبو نعيم ، عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «لمَّا فرغتُ مما أمرني الله به من أمر السماوات والأرض ـ أي: ليلةَ المعراج ـ قلت: يا ربِّ: إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلاَّ وقد كرَّمته: جعلتَ إبراهيم خليلاً ، وموسىٰ كليماً ، وسخَّرت لداود الجبال ، ولسليمان الريح والشياطين ، وأحييتَ لعيسىٰ الموتىٰ ، فَمَا جعلت لي؟.

قال: أَوَليس أعطيتُك أفضل من ذلك كلِّه: إنِّي لا أُذكَر إلاَّ ذُكرتَ معي ، وجعلتُ صدور أمتك أناجيل ـ أي: مصاحف ـ يقرؤون القرآن ظاهراً ولم أُعطها أمةً ، وأعطيتُك كنزاً من كنوز عرشي: لا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم».

وفي حديث الطبراني ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال في صفة أمته في الكتب السابقة: «وأمته الحمَّادون ، يأتزرون علىٰ أنصافهم ، ويوضئون أطرافهم ، أناجيلهم ـ أي: قراءنهم ـ في صدورهم ، يَصُفُّون للصلاة كما يصفُّون للقتال ، قربانهم الذي يتقربون به إليَّ دماؤهم ، رهبان بالليل ، ليوث بالنهار».

وكان صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يحثُّ الصحابة علىٰ حفظ القرآن في صدورهم ، وعلىٰ مدارسته ، ويرغبهم في ذلك ، ويبيِّن لهم فضل استظهاره ، فتوجهتْ هِمَمُهم إلىٰ حفظ القرآن الكريم ، والإكثار من مذاكرته ومدارسته ، فما منهم من أحد إلا والقرآن الكريم في صدره كله أو بعضه.

فقد جاء في الأحاديث الصحيحة ، أَنَّ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لمَّا بعث سرية إلىٰ أهل بئر معونة ، كان في السرية سبعون قَارِئاً قد حفظوا القرآن ، كما جاء في الرواية عن أنس رضي الله عنه أنه قال: (كانوا يتدارسون القرآن بالليل ويصلُّون).

قال: (وكنا نسمِّيهم القراء) وقد قُتِلوا في تلك الوقعة.

كما أنه استشهد يوم اليمامة من القراء سبعون ، وكلهم كانوا قد استوعبوا القرآن وحفظوه.

فقد روىٰ البخاري والترمذي وغيرهما ، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: (أرسل إليَّ أبو بكر رضي الله عنه مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر جالس عنده.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: إنَّ عمر جاءني فقال: إن القتل قد

استحرّ ـ أي: اشتدّ وكثُر ـ يَوم اليمامة بقُرّاء القرآن، وإني أخشىٰ أن يستحرّ القتل بالقُرّاء في كل المواطن، وإني أرىٰ يا أبا بكر أن تأمر بجمع القرآن) الحديث.

وفي هذا دليل علىٰ كثرة حُفَّاظ القرآن من الصحابة رضي الله عنهم، باعتبار أن في السَّريَّة الواحدة والمعركة الواحدة كان يحضرها منهم سبعون قارئاً حافظاً.

ولسنا نريد استقصاء حفاظ الصحابة وذكرهم باستيعاب، مخافة الإطالة والخروج عن موضوع بحثنا، فإن موضع ذلك ومرجعه هو كُتُب طبقات القرّاء، وبعض التواريخ، وكتب تراجم الصحابة رضي الله عنهم.

الأمر الثاني: حفظ بيان القرآن الكريم وهو الأحاديث النبويَّة:
قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ فقد تكفل سبحانه أن يجمع القرآن لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم محفوظاً، وتكفل بأن يُقرئه إياه كما أنزله عليه، وتكفَّل بأن يبين له معاني القرآن الذي أنزل عليه، ومن هنا يُفهم أن بيانه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم للقرآن الكريم هو وحي من الله تعالىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ وهي السنة النبوية.

وقد أمر الله تعالىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن يُبيِّنَ للناس ما نُزِّل إليهم قال تعالىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

فالسُّنة النبويَّة المحمدية بما اشتملتْ عليه من أقوالٍ وأفعالٍ

وتقريرٍ ، هي بيان للقرآن الكريم ، وقد حفظها الله تعالىٰ أيضاً في صدور الصحـابة، وفي سطور كتبهم، ثم في صدور التابعين وكتبهم ، ثم أتباع التابعين ، ثم بعد ذلك ضَعُفتْ عزائم أهل الحفظ في الصدور ، فقلَّ المحدثون الحفاظ ، وبقيت كتب الحديث مَحفوظةً برواياتها وأسانيدها ، وَضَبْطِها وإعجامها وتحقيقها ، وتدقيق نُسَخها ، مع التنبيه إلىٰ تعدد نسخها علىٰ وجهٍ مصونٍ مضمونٍ.

مع الاهتمام الكبير والعناية التامَّة في المصنَّفات الحديثية من: الجوامع ، والسُّنن ، والمسانيد ، والمُوطَّآت ، والمعاجم ، والمصنفات الكبيرة ، والأجزاء ، وكُتُب الأطراف ، إلىٰ غير ذلك.

والمصنفات في بيان الموضوعات ، والمصنفات في الضِّعاف ، والمصنفات في الضعفاء والمتروكين ، والمصنفات في أحوال الرجال ، والمصنفات في تواريخ رجال الأسانيد ، إلىٰ ما وراء ذلك ، فقد حفظ الله تعالىٰ أحاديث رسوله الكريم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بتلك المصنفات الكبرىٰ ، والمؤلفات العظمىٰ ، وجميع ذلك يرجع إلىٰ حفظ الله تعالىٰ لهذه السنة المحمدية ، التي بذل علماء الحديث فيها جُهوداً ، واهتمُّوا بضبطها كلَّ الاهتمام ، خِدمةً لكتاب الله تعالىٰ وسنَّة نبيه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً. نفعنا الله تعالىٰ بهم وبعلومهم ، وجعلنا من الناهجين منهاجهم ، والسالكين فِجاجَهم ، ابتغاءَ مرضاة الله تعالىٰ ورسوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ـ آمين.

وإليك تفاصيل الكلام علىٰ ما تقدم بأدلَّته:

أولاً: اهتمام النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بحفظ أحاديثه في الصدور، وفي تبليغها ونشرها:

كان صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُكثر مِن مَجالسه مع الصحابة ليحدثهم في المسجد وفي غيره، وكان صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُعيد الكلمة ثلاثاً لتُفهم عنه ـ أي: لتحفظ بنصها، ويفهم معناها ـ كما ورد ذلك في الصحاح.

وكان صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كما وصفه هند بن أبي هَالَة: يفتتح الكلام ويختمه باسم الله تعالىٰ، ويتكلم بجوامع الكلم، كلامه فصل: لا فضول ولا تقصير.

وكان صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا تكلَّم أصغىٰ الجلساء إلىٰ كلامه، وانفتحتْ قلوبهم لحديثه، وأطرق جلساؤه كأنما علىٰ رؤوسهم الطير، وهذا كله مما يساعدهم علىٰ استيعاب حديثه، ووعيه وحفظه.

وكان صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ينهض بهمَّة الصحابة إلىٰ حفظ أحاديثه ووعيها وتبليغها، وينشطهم لذلك، ويرغبهم في ثواب ذلك في المجامع العامَّة والخاصة، والمواسم والأعياد، وغيرها.

فقد روىٰ الإمام أحمد، وابن ماجَهْ وغيرهما، عن جُبير بن مُطْعِمٍ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالخيف في منىٰ يقول: «نَضَّر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها، وبلَّغها مَنْ لم يَسْمَعْها، فربَّ حامل فقهٍ لا فِقْهَ له، ورُبَّ حامل فقهٍ إلىٰ مَنْ هو أفقه منه، ثَلاث لا يغلُّ عليهنَّ قلب مؤمن: إخلاص العمل لله تعالىٰ، والنصيحة لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم؛ فإنَّ دعوتَهم تَحفظ مَنْ وراءهم».

وفي رواية: «تحيط من وراءهم».

ورواه الطبراني في (الأوسط) عن أنس بن مالك رضي الله عنه بلفظ: خطبنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بمسجد الخيف في منىٰ فقال: «نضَّر الله امرءاً سمع مقالتي فحفظها ووعاها، وبلَّغها مَنْ لم يسمعها، ثم ذهب بها إلىٰ من لم يسمعها، ألا فرُبَّ حامل فقهٍ لا فقهَ له، وربَّ حامل فقهٍ إلىٰ مَنْ هو أفقه منه» الحديث كما في (ترغيب) المنذري.

كما أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يحث أصحابه علىٰ تحمل أحاديثه وحفظها، ثم تبليغها ونشرها في مجالسه العامة والخاصَّة:

فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «نَضَّر الله امرءاً سمع مِنَّا حديثاً فبلَّغه غيرَه، فَربَّ حامل فقه إلىٰ مَنْ هو أفقه منه، وربَّ حامل فقهٍ ليس بفقيه» رواه أهل السنن الأربعة.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «نَضَّر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلَّغه كما سمعه، فربَّ مبلَّغٍ أوعىٰ من سامع» رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

ورواه ابن حبان في (صحيحه) بلفظ: «رحم الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلَّغه كما سمعه، فربَّ مُبَلَّغ أوعىٰ من سامع».

فَمِن هذه الأحاديث التي ذكرتُها لك، يَتبيَّن قوة اهتمامه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بحفظ أحاديثه وأقواله، وأدائها وتبليغها ونشرها، فهو صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يدعو لمن يحفظ حديثه

ويبلِّغه بالنضارة ، وهي كما قال المنذري: النعمة والبهجة والحُسْن. اهـ.

وقال بعضهم: بَياض الوجه في الدنيا وفي الآخرة ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾.

اللهم بيِّض وجوهنا يا مولانا بأنوار حديث رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الدنيا والآخرة.

ولذلك كان الصحابة يهتمُّون بحفظ الأحاديث ومدارستها ونشرها:

فعن أنس رضي الله عنه قال: (كنا قعوداً عند النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يحدِّثنا الحديثَ ، ثم يدخل لحاجته فنراجعه بيننا؛ هذا ، ثم هذا ، فنقوم كأنما زُرِع في قلوبنا) رواه أبو يعلىٰ في (المسند).

ودعا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم برحمة الله تعالىٰ لِمَنْ يحفظ حديثه وَيُبلِّغه ، وكفىٰ المحدثين شرفاً أنهم دعا لهم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بذلك.

روىٰ الطبراني في (الأوسط) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «اللَّهمَّ ارحم خلفائي».

قلنا: يا رسول الله ومَنْ خلفاؤك؟

قال: «الذين يأتون من بعدي ، يَرْوون أحاديثي ويعلِّمونها الناس».

وهكذا حضَّ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ نشر العلم

الذي جاء به صلّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، وبيَّن فضل ذلك واستمرار أجر ذلك:

فَعَنْ سَمُرَة بن جُنْدُب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم: «ما تصدق الناس بصدقةٍ مثل علم يُنْشَر»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «نِعْمَ العطيَّةُ كَلِمَةُ حقٍّ تَسْمَعُها ، ثم تَحمِلها إلىٰ أخٍ لك مسلم فتعلِّمها إيَّاه»(٢).

وروىٰ الإمام أحمد ، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت: رجلٌ مات مرابطاً في سبيل الله ، ورجل علَّم علماً فأجْرُهُ يجري عليه ما عُمِل به ، ورجل أجرىٰ صدقةً فأجْرُها له ما جرتْ ، ورجل ترك ولداً صالحاً يدعو له».

كما حذّر النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مِنْ كتمان حديثٍ؛ أو علمٍ يؤخذ عنه:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «مَنْ سُئِل عن علمٍ فكتمه أُلجِمَ يوم القيامة بلجامٍ من نار»(٣).

وفي رواية لابن ماجه: «ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه إلاّ أتىٰ يوم القيامة ملجوماً بلجامٍ من نار».

---

(١) قال المنذري: رواه الطبراني في (الكبير) وغيره.

(٢) قال المنذري: رواه الطبراني في (الكبير) ويشبه أن يكون موقوفاً علىٰ ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه أصحاب السنن.

فمن كتم علماً نافعاً ولو لم يُسأل عنه أُلجِم بلجام من نار ، كما دلَّ علىٰ ذلك رواية ابن ماجه المتقدمة ، وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم: «من كتم علماً مما ينفع الله به الناس في أمر الدين: ألجمه الله يوم القيامة بلجامٍ من نار» رواه ابن ماجه.

ومن أجل ذلك كان أصحابِ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يحرصون كلَّ الحرص علىٰ أن يبلِّغوا ما سمعوه من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، ولو قُبَيْل وفاتهم تأثُّماً ، وكانوا يخافون أن يموت أحدهم وعنده حديث من أحاديث النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يبلِّغه ، خوفاً من وعيد الكتمان.

فهذا معاذ بن جبل رضي الله عنه ، يحدث عند موته بحديث كان سمعه من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، مخافة أن يموت ولم يحدث به:

روىٰ البخاري وغيره ، عن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ومعاذ بن جبل رديفه علىٰ الرحل:

قال: «يا معاذ بن جبل».

قال: لبَّيكَ يا رسول الله وسعدَيْكَ.

قال: «يا معاذ بن جبل».

قال: لبَّيكَ يا رسول الله وسعديْكَ (ثلاثاً).

قال: «ما من أحد يشهد أَنْ لا إلّه إلا الله وأَنَّ محمداً رسول الله: صِدقاً من قلبه إلاَّ حرَّمه الله علىٰ النار».

قال: يا رسول الله أفلا أخبر الناس فيستبشروا؟

قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم: «إذاً يَتّكلوا».

وأخبَرَ بها معاذ عند موته تأثماً ـ أي: بُعْداً عن إثم الكتمان ـ.

وهذا عبادة بن الصامت رضي الله عنه، كما روىٰ أبو داود والترمذي، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه، قال لابنه عند الموت:

يا بُنيَّ إنك لن تجدَ طعم حقيقة الإيمان، حتىٰ تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، فإني سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول:

«إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، قال: يا ربِّ وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كلِّ شيءٍ حتىٰ يوم القيامة».

يا بنيّ سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «مَنْ مات علىٰ غير هذا فليس مني».

وهذا أبو ذر رضي الله عنه يقول: (والله لو وَضَعْتُم الصمصامة علىٰ هذه ـ وأشار إلىٰ قفاه[1] ـ ثم ظننتُ أني أُنفِذ كلمةً سمعتها من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قبل أن تُجيزوا عليَّ لأنفذتُها) رواه البخاري.

ومِنْ هنا تفهم شدَّة خوف الصحابة رضي الله عنهم، من أن يموت أحدهم وعنده حديث عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يُبلِّغه للناس، فكانوا يحرصون علىٰ تبليغ أحاديثه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ويُحرِّضون علىٰ تبليغها عنهم:

---

(١) أي: إلىٰ قفا رأسه.

كما ورد عن سليم بن عامر قال: كنا نجلس إلىٰ أبي أمامة رضي الله عنه فيحدثنا حديثاً كثيراً عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، فإذا سكتَ قال: (أَعَقَلْتُمْ ، بَلِّغوا كما بُلِّغتُم).

وقال مكحول: دخلت أنا وابن زكريا وسليمان بن حبيب علىٰ أبي أمامة رضي الله عنه بحمص ، فسلَّمنا عليه فقال: (إنَّ مجلسكم هذا من بلاغ الله تعالىٰ لكم ، واحتجاجه عليكم ، وإن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قد بلَّغ فبلِّغوا)(١).

ثانياً: ترغيبه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بكتابة أحاديثه:

ولذلك كان الكتَبَة من الصحابة يتسارعون إلىٰ كتابة القرآن الكريم ، والحديث النبويِّ ، حتى قال لهم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «لا تكتبوا عني شيئاً غيرَ القرآن ، فمَنْ كتب عني شيئاً غيرَ القرآن فليمْحُهْ» الحديث.

فما نهاهم عن كتابة الحديث ، وقَصَرَهُم علىٰ كتابة القرآن إلاَّ لأنهم كانوا يحرصون علىٰ كتابتهما ، فنهاهم في أوَّل الأمر عن كتابة الحديث ، وقَصَرهم علىٰ كتابة القرآن الكريم بُعْداً عن الاشتباه ، أو عدم الانتباه ، باعتبار أنهم حديثو عهدٍ بالإسلام ، وباعتبار أن صغارهم ونساءهم ربَّما لا يُفرقون بينهما ، ثم أذن لهم بعدُ لإدراكهم الفرق بين الكلام المعجز والجامع من وجوهٍ متعددة وأساليب مختلفة ، فصاروا يكتبون الحديث النبويَّ ، فمنهم المُقِلُّ ومنهم المكثِر ، ومنهم مَنْ يكتب لنفسه ، وقد يكتب لغيره ممن لا يُحسن الكتابة.

---

(١) قال الحافظ الهيثمي: رواهما الطبراني في (الكبير) وإسنادهما حسن. ا هـ.

ويدلك علىٰ اهتمام الصحابة بكتابة الحديث النبوي ما يلي:

روىٰ البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (ما من أصحاب النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أحد أكثر حديثاً عنه مني، إلَّا ما كان من عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فإنه كان يكتب ولا أكتب).

وقد تقدم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه كان يكتب كل شيء سمعه من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وأنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال له: «اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حقٌّ»، وأومأ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بأصبعه إلىٰ فمه الشريف.

وروىٰ البخاري، عن أبي جُحيفة قال: قلتُ لعليٍّ رضي الله عنه: هل عندكم كتاب ـ أي: كتاب خاصٌّ بكم ـ.

فقال: لا. إلَّا كتاب الله، أَوْ فَهْم أُعْطِيَه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة).

قال: قلتُ: وما في هذه الصحيفة؟

قال: (العقل، وفكاك الأسير، ولا يُقتَل مسلم بكافر).

وفي الحديث المتفق عليه، أنَّ رجلاً قال للنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد أن خطب صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: اكْتُبْ لي يا رسول الله.

فقال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «اكتبوا لأبي فلانٍ» الحديث.

فأمر الكتَبَة أن يكتب أحدهم للرجل خطبته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وَمِنْ هنا يتبيَّن حرص الصحابة علىٰ كتابة الحديث.

وفي حديث محمد بن مسلمة رضي الله عنه ، الذي رواه الحافظ الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي بسنده ، عن محمد بن سعد قال: لمَّا مات محمد بن مسلمة الأنصاري وجدنا في ذُؤابة سيفه كتاباً:

بسم الله الرحمن الرحيم ، سمعتُ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «إنَّ لربكم في بقية أيام دهركم نفحات؛ فتعرَّضوا لها ، لعلَّ دعوةً أن توافق رحمةً ، فيسعد بها صاحبها سعادة لا يخسر بعدها أبداً» الحديث ، وله شواهد كثيرة.

وروىٰ الترمذي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رجل من الأنصار يجلس إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، فيسمع من النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الحديث فيعجبه ولا يحفظه ، فشكا ذلك إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، فقال: يا رسول الله إني لأسمع منك الحديث فيعجبني ولا أحفظه.

فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «استعِنْ بيمينك» وأومأ بيده إلىٰ الخَطِّ.

وقد كان صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يوجِّه إلىٰ الكتبة تعليمات تساعدهم علىٰ حسن الكتابة:

فقد روىٰ الترمذي ، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: دخلتُ علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وبين يديه كاتب ، فسمعتُه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول له: «ضع القلم علىٰ أُذُنك؛ فإنه أَذْكَر للمُملي».

ومما تقدم ذكره يُعلم أن السنة النبوية قد بدأ تدوينها في الكتب

في عصر النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، وأنَّ الصحابة كتبوا من السنة كُتباً: منها مجامع كبرىٰ مثل كتاب عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، فإنه كان يكتب فيه كلَّ شيء سمعه من النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كما تقدم ، ومنها الوسطىٰ في جمعها ، ومنها الأجزاء ، وهكذا تتابع التدوين في كتب الجوامع ، والتصانيف ، والمسانيد ، والمعاجم ، ونحوها من كتب الحديث النبويّ الشريف ، إلىٰ جانب نشرها في مجالس حافلة جامعة ، يعقدونها لقراءة الحديث النبوي الشريف ، فحفظ الله تعالىٰ أحاديث رسوله الكريم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ يوم الدين.

فقد ذكر الإمام البخاري في (صحيحه) عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ ، أنه كتب إلىٰ أبي بكر بن حزم: (انظر ما كان من حديث رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فاكتبه ، فإني خِفتُ دُرُوسَ العلم وذهابَ العلماء ، ولا يُقبل إلا حديث النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، ولْيفشوا العلم ، ولْيجلسوا للناس حتىٰ يُعلَّم من لا يعلم ، فإن العلم لا يهلِك ـ أي: لا يذهب ويُقضىٰ عليه ـ حتىٰ يكون سِرّاً). اهـ.

أي: فما دام يُنشر في القراطيس ، ويغشىٰ في المجالس والحلقات العلمية؛ فهو باقٍ ومحفوظ. والحمد لله رب العالمين.

ولقد كانت مجالس التحديث تجمع جموعاً كبيرةً كثيرةً متنوعةً من جميع الطبقات ، فمنهم الذي يكتب ما يسمع من الحديث ، ومنهم الذي يحفظ ، وقد ذكر العلماء أن الإمام البخاري كان يحضر مجلس تحديثه في رحبة بغداد حين رحل إليها ، كان يحضر مجلسه: عشرة آلاف من مختلف طبقات الناس.

وقد ذكروا أن أبا مُسلم الكَجِّيَّ حضر مجلس حديثه أربعون ألفاً معهم المحابر يكتبون ، ما عدا بقية المستمعين ، وقد أعانه علىٰ إسماعهم سبعة مستملين يبلغون عنه ، إلىٰ غير ذلك كما هو مفصل في موضعه. والحمد لله رب العالمين.

الأمر الثالث: حفظ وبقاء حَمَلَة الكتاب والسُنَّة ، وتبليغ ذلك للأمة إلىٰ يوم الدين:

قال تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

فلا بد في كل عصر من علماء وقراء يحفظون القرآن ، أي: يَقْرؤون القرآن عن ظهر قلب ، وقد يَكثرون وقد يَقِلُّون ، ولكن ما ينقطعون إلىٰ يوم الدين ، يشير إلىٰ ذلك الحديث الذي رواه مسلم كما تقدم في الحديث القدسي: «وَأنزلتُ عليك كتاباً لا يغسله الماء ، تقرؤه نائماً ويقظان».

فإذا كانت محافظ القرآن هي الصدور فإن الماء لا يغسلها ، وأما السطور فإن الماء يغلسها ، إذاً لا بدَّ من بقاء هذه المحافظ حتىٰ يُبَلَّغ إلىٰ آخر الأمة.

فلا بدَّ من حفظ الكتاب وحفظ بيانه ، ولا بد لهما ممن يحملهما ويبلِّغهما إلىٰ يوم القيامة ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

فالكتاب الذي لبثوا فيه إلىٰ يوم البعث ما هو إلا هذا القرآن

الكريم، وأما التوراة والإنجيل فقد جرىٰ عليهما ما جرىٰ من تحريف، وزيادة ونقص، وجاءت إلىٰ أزمنة معيَّنة، ثم تبدَّلتْ وتبدَّدتْ علىٰ مدىٰ الأيام، وهذا ظاهر، وإن الآيات اللاحقة بعد هذه الآية تشير إلىٰ أن المراد بكتاب الله تعالىٰ هنا: القرآن كما سيأتي، فيقال للذين كفروا بهذا القرآن: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني: أن القرآن جاءكم بعلوم ومعارف، وأدلَّة وبراهين يقينيَّة، فكنتم تُعرضون عنها، فهذا الكتاب يقول لكم: إعلموا، وأنتم تعرضون ولا تعلمون، ويقول لكم: لعلَّكم تعقلون، وأنتم تُعرضون ولا تعقلون ما جاءكم به، ولا تتفكَّروا، إذاً فالنتيجة: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي: ظلموا أنفسهم بإعراضهم عن معرفة الحق، وتعاميهم عن آياته ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ والاستعتاب: هو طلب العُتبىٰ، وهي الاسم من الإعتاب، بمعنىٰ إزالة العَتْب، فهم لا يُستعتبون لأنهم لا ينفعهم الاعتذار بعد التحذير والإنذار.

ومن ثَمَّ قال تعالىٰ بعد ذلك: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: بيَّنَّا لهم في هذا القرآن المجموع في الكتاب الذي لبثوا فيه إلىٰ يوم البعث، بيَّنَّا لهم كلَّ دليلٍ واضح، يجري مجرىٰ المَثَل في إثبات التوحيد، وصدق النبوات والرسالات، وإثبات اليوم الآخر، وحَقِّيَّة الحساب والثواب والعقاب، وغير ذلك من القضايا الإيمانية.

﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ جحدوا الحقَّ وأعرضوا عنه، يقولون للرسول صلّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ومَن آمن به: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾.

وهذا نظير: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾.

ثم يقول تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يعلمون العلم الحقَّ بعد ما جاءهم، ولا يفكِّرون فيه، ولا يسعَوْن إلىٰ علم ما جاءهم به كتاب الله تعالىٰ من البيِّنات والهُدىٰ، بل يعرضون وينكرون ويستهزؤون: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾.

فهذه الآيات كلها شواهد علىٰ أن المراد بكتاب الله تعالىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ هو القرآن الكريم، فهو باقٍ إلىٰ يوم الدين، وحملته أولوا العلم والإيمان أيضاً باقون خلفاً عن سلف، حتىٰ يأتي أمر الله تعالىٰ، كما بيَّن ذلك النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الحديث المتواتر، الذي جاء بروايات متعددة، وفي ضمن أحاديث كثيرة، ولذا نصَّ علماء الحديث علىٰ تواتره:

وهو كما جاء عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «لا يزال ناس من أمتي ظاهرين؛ حتىٰ يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون».

ورَوَى البخاري وغيره، عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرُّهم مَنْ خذلهم، ولا مَنْ خالفهم؛ حتىٰ يأتيهم أمر الله وهم علىٰ ذلك» هذا نصُّ بعض روايات البخاري.

وقد روىٰ هذا الحديث أهل الجوامع والسنن والمسانيد وغيرها.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ في (التهذيب) مُبيِّناً هذه

الطائفة المخبَر عنها في الحديث قال: حَمَلَةُ العلماءُ أو جمهورهم علىٰ أهل العلم، وقد دعا لهم النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بقوله: «نضَّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها، فأدَّاها كما سمعها» يشير إلىٰ الحديث المتقدم.

وقال رحمه الله تعالىٰ: وَجَعَلَهم النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عُدُولاً، ففي الحديث، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «يَحمِل هذا العلمَ مِنْ كلِّ خَلَفٍ عدوله، يَنْفُون عنه تحريف الضالين، وانتحال المبطِلين».

قال النووي رحمه الله تعالىٰ: وهذا إخبار منه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بصيانة العلم وحفظه، وعدالة ناقليه، وأن الله تعالىٰ يُوفِّق له في كل عصرٍ عُدُولاً يحملونه وينفون عنه.

قال رحمه الله: وهو من أعلام نبوَّته، ولا يضرُّ معه كون بعض الفُسَّاق يعرفون شيئاً من العلم، لأن الحديث ـ أي: قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «يحمل هذا العلم من كل خَلَفٍ عدولُه» ـ إنما هو إخبار بأن العدول يَحملونه، لا أن غيرَهم لا يعرف منه شيئاً. اهـ يعني: أن المعوَّل عليهم في حَمْلِهِ وحفظه وصيانته؛ هم عدولُ كل خلف.

وقال النووي رحمه الله تعالىٰ: يجوز أن تكون الطائفة ـ أي: المخبر عنها في الحديث الأسبق «لا تزال طائفة من أمتي....» الحديث ـ متعددة من أنواع الأمة، ما بين فقيهٍ ومُحدِّث ومفسِّر، وقائمٍ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهدٍ وعابدٍ، ولا يلتزم اجتماعهم ببلد واحد، بل يَجوز اجتماعهم في قطرٍ

واحدٍ ، وتفرقُهم في الأقطار ، ويجوز أن يكونوا في بعض الأقطار دون بعض ، ويجوز إخلاء الأرض من بعضهم أوّلاً فأوّلاً إلىٰ أن لا يبقىٰ إلا طائفة في بلد واحد ، فإذا انقرضوا جاء أمر الله تعالىٰ بقيام الساعة[1] . اهـ.

وهذا الحديث وهو: «يحمل هذا العلم من كل خَلَفٍ عدولُه» هو كما أورده الإمام القسطلاني في مقدمته علىٰ شرح البخاري:

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه ، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «يحمل هذا العلم من كل خَلَفٍ عدولُه ، يَنفُون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويلَ الجاهلين».

قال القسطلاني رحمه الله تعالىٰ: وهذا الحديث رواه من الصحابة: علي كرَّم الله تعالىٰ وجهه ، وابن عمر ، وابن عمرو ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وجابر بن سمرة ، ومعاذ ، وأبو هريرة رضي الله عنهم.

قال: وأورده ابن عديٍّ من طرق كثيرة كلها ضعيفة ، كما صرَّح به الدارقطني وأبو نعيم وابن عبد البرّ ، لكن يمكن أن يتقوَّىٰ بتعدد طرقه ، ويكون حَسَناً كما جزم به ابن كيكلدي العلائي[2] . اهـ.

* * *

(١) وقد نقل ذلك القسطلاني في مقدمة شرح البخاري ، والزرقاني أيضاً نقل ذلك.

(٢) أي: ويكون حسناً لغيره كما هو المقرر في علم الحديث بلا شك.